طرائف ولطائف من التراث

● د. إسماعيل القيّام

هل يُصلح العطّار ما أفسد الدهر؟

نظر شيخٌ من الأعراب إلى امرأته تتصنّع وهي عجوز فقال:

عجوز تُرجّي أن تكون فتيةً وقد لحِبَ الجنبانِ واحدودب الظهر (1)

تدُسُّ إلى العطّار سلعةَ بيتها وهل يُصلح العطّار ما أفسد الدهر؟

فقالت له امرأته:

ألم تر أن النابَ تحلب علبةً ويُتركُ ثِلبٌ، لا ضِرابٌ ولا ظهر (2)

قال: ثم استغاثت بالنساء. وطلب الرجالَ فإذا هم خلوفٌ، فاجتمع النساء عليه فضربنه.

الأعرابيّ وأمير المؤمنين

خفّف أعرابيٌّ صلاته فقام إليه الإمام عليّ كرّم الله وجهه بالدِّرّة وقال: أعدها. فأعاد الأعرابيّ صلاته، فلما فرغ قال له الإمام عليّ: أهذه خيرٌ أم الأولى؟ فقال: بل الأولى، قال: لِمَ ؟ قال: لأن الأولى صلّيتها لله وهذه فرقاً من الدرة. فضحك علي كرّم الله وجهه .(3)

كظم الغيظ

أهدى حمّاد الراوية إلى صديق غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك بغلام تتعلم عليه كظم الغيظ.

جامعة فيلادلفيا

نقد الشّعر

قيل إنّ رجلاً عرض على الأصمعي شعراً زريًّا فبكى الأصمعي. فقيل: ما يبكيك؟ قال: يُبكيني أنّه ليس لغريب قدر؛ لو كنتُ في بلدي بالبصرة ما جسر هذا الكشْخانُ 4 أن يعرِضَ عليَّ هذا الشعرَ وأسكتَ عنه.

وأنشد رجلٌ رجلاً شعراً رديئاً ثم قال له: تراني مطبوعاً ؟ فقال: إي والله على قلبك.

موعظة

تُوفِّيت حمادةُ بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها. فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددتَ لهذه الحفرةِ يا أبا دلامة؟ قال: بنتُ عمّك يا أميرَ المؤمنين حمادةُ بنت عيسى يُجاءُ بها الساعةَ فتُدفن فيها. فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه.

قياس

جاء في الإفادات والإنشادات للشاطبيّ: حدثنا الأستاذ الفقيه الجليل الأصولي أبو علي منصور الزواوي رضي الله عنه أن الفخر بن الخطيب سأل سيفَ الدين الآمدي فقال له: لِمَ أجاز الشرع ذبح الحيوان في حق الإنسان، وهو تعذيب له، وتعذيب الحيوان على خلاف المعقول؟ فقال له سيف الدين: إتلاف الخسيس في حقّ النفيس من مناهج العقول. فقال له الفخر: لو كان كذلك لجاز أن تُذبح أنت في حقّ ابن سينا.

خطبة

سَار المُغيرة بن شعبة، وهو والي الكوفة، إلى دَيْر هند بنت النعمان بن المنذر، وهي فيه عمياء مترهّبة، فاستأذن عليها، فقالت: من أنت؟ فقال: المغيرة بنُ شعبةَ الثقفيّ أميرُ الكوفة. فقالت: وما حاجتك؟ قال: جئتك خاطبًا. قالت: لو كنتَ جئتني لجَمال أو لمال لأطلبْتُك 5، ولكنّك أردتَ أن تتشرّف بي في محافل العرب، فتقول: نكحتُ ابنة النعمان بن المنذر، وإلاّ فأيّ خير في اجتماع أعورَ وعمياء! فقال لها: فكيف كان أمركم؟ قالت: سأختَصر لك الجواب؛ أمسينا مساءً وليس في الأرض عربيٌّ إلا هو يرغب إلينا ويرهبنا، ثمّ أصبحنا وليس في الأرض عربيٌّ إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه. توضيح

عن الحسين بن السميدع الأنطاكيّ قال: كان عندنا بأنطاكية عامل من حلب، وكان له كاتب أحمق، فغرق في البحر مركبان من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدوّ، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى الأمير بحلب:

بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أيّها الأمير أعزّه الله تعالى أنّ شلنديتين، أعني مركبين قد صفقا من جانب البحر، أي غرقا من شدّة أمواجه، فهلك من فيهما أي تلفوا. فكتب إليه أمير حلب:

بسم الله الرحمن الرحيم، ورد كتابك أي وصل، وفهمناه أي قرأناه. أدِّب كاتبك أي اصفعه، واستبدل به أي اعزله، فإنّه مائق أي أحمق، والسلام أي انقضى الكتاب.

ولاء

يُروى أنّ يزيد بن معاوية قال لأبيه في يوم بويعَ له على عهده، فجعل الناسُ يمدحونه ويُقرِّظونه: يا أمير المؤمنين، والله ما ندري أنخدع الناسَ أم يخدعوننا! فقال معاوية: كلُّ مَن أردْتَ خديعتَه فتخادَعَ لك حتّى تبلغ منه حاجَتَك فقد خدَعتَه.

ويُروى أنّ الحجّاج كتب إلى عبد الملك بن مروان : وبلغني أنّ أمير المؤمنين عطس عطسةً فشمّته قوم، فقال: يغفر الله لنا ولكم. فيا ليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزًا عظيما.

غناء

رُوي عن عمر الوادي أنّه قال: أقبلتُ من مكّة أريد المدينة، فجعلت أسير قي صمْدٍ من الأرض، فسمعت غناءً من القرار لم أسمع مثله 7، فكِدتُ أسقط عن راحلتي طَرَبًا، فقلت: والله لأتوصّلَنّ إليه ولو بذهاب نفسي. فانحدرتُ إليه، فإذا أنا برجل يرعى غنمًا، وإذا هو صاحب الصّوت، فقلتُ له: أعِد عليّ ما سمعت، فقال لي: والله لو كان عندي قِرَى أقريك ما فعلتُ، ولكنّي أجعله قِراكَ، فإنّي ربّما غنّيتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشبع، وربّما غنّيته وأنا كسلانُ فأنشط، وربّما غنّيته وأنا عطشانُ فأروى، ثمّ انبرى يُغنّيني:

وكنتُ إذا ما زرتُ سُعدى بأرضها
أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
مِن الخفِراتِ البيضِ ودَّ جليسُها
إذا ما انقضت أُحدوثةٌ لو تُعيدُها
تُحلِّلُ أحقادي إذا ما لقيتُها
وتبقى بلا ذنبٍ عليّ حُقودُها
وكيف يُحبُّ القلبُ من لا يُحبّه
بلى قد تريد النّفسُ مَن لا يُريدُها

قال عمر: فحفظته عنه، ثمّ تغنّيتُ به على الحالات التي وصف، فإذا هو كما ذكر.

قضاء

سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ قاضينا لا يفهم، وإذا فهم وهم. قال: ويحك كيف هذا ؟ قال: قدم عليه رجل فادّعى على آخرَ أربعةً وعشرين درهما، فأقرّ له الآخَر، فقال: أعطه. قال: أصلح الله القاضي، إنّ لي حمارًا أكتسب عليه كلّ يوم أربعة دراهم، أُنفق على الحمار درهمًا وعليّ درهمًا وأدّخر له درهمين، حتّى إذا اجتمع ما له غاب عنّي فلم أره فأنفقتها، وما أعرف وجهًا إلاّ أن يحبسه القاضي اثني عشر يومًا حتّى أجمعها له.فحبس القاضي صاحبَ الحقّ حتّى جمع الرجلُ ماله. فضحك المأمون وعزله.

داء الركبتين

عاد أبو الحسين بن برهان رجلاً مريضًا، فقال له: ما علّتك؟ قال: وجع الركبتين. فقال: والله لقد قال جرير بيتًا ذهب منّي صدره وبقي عجزه، وهو قوله:(وليس لداءِ الركبتين طبيبُ). فقال المريض: لا بشّرك الله بخير، ليتك ذكرتَ صدره ونسيت عجزه.

إعلان الإفلاس

أعدَمَ رجلٌ وأرادوا تفليسه، فأركبه القاضي حمارًا ونودي عليه: هذا مُعدِمٌ فلا يعامله أحد إلا بالنّقد. فلمّا كان أخرُ النهار ونزل عن الحمار قال له المكاري: هاتِ أجري. فقال له: فيمَ كنّا نتحدّث منذ الغداة ؟8

انتحاريّ من بني نُمير

ركب شيخ من بني نُمير في سفينة وكان معه ابن له، وفي السفينة جماعة، فنسبهم الشيخ فإذا كلُّهم من الأزد. فأخذ الشيخ حديدةً وجعل ينقب بها، فقال له ابنه: ما تصنع يا أبت؟ فقال: أخرقها. قال: إذن تغرق. قال: يا بنيّ، أما ترضى أن أغرق أنا وأنت وثمانية عشر رجلاً من الأزد!

براءة

لمّا أكثر الأحوصُ من ذِكر أم جعفر والتغزّل بها وكانت امرأة عفيفة، جاءت منتقبةً فوقفت عليه في مجلس قومه وهو لا يعرفها، فقالت له: اقض ثمنَ الغنم التي ابتعتَها مني؛ فقال: ما ابتعتُ منك شيئاً. فأظهرت كتاباً قد وضعته عليه وبكت وشكت حاجة وضرًّا وفاقة وقالت: يا قوم، كلِّموه. فلامه قومه وقالوا: اقض المرأة حقَّها. فجعل يحلف أنه ما رآها قطّ ولا يعرفها. فكشفت وجهها وقالت: ويحك! أما تعرفني! فجعل يحلف مجتهداً أنّه ما يعرفها ولا رآها قط. حتى إذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لغطهم وأقوالهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، اسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدوَّ الله! صدقْتَ، والله ما لي عليك حقٌّ ولا تعرفني، وقد حلفت على ذلك وأنت صادق، وأنا أمُّ جعفر وأنت تقول في شعرك: قلت لأمِّ جعفر وقالت لي أم جعفر! فخجل الأحوص وانكسر عن ذلك. وبرئت أمّ جعفر عندهم.

الـــهـــوامش

1. تتصنع :تتزين. ولحِب الجنبان: قل لحمهما.
2. الناب: الناقة المُسنّة. وقولها: (ألم تر أن الناب تحلب علبة) معناه أنّ فيها منفعة على كلّ حال.والعلبة: إناء لهم من جلود يحلبون فيه، ومن أمثال العرب:تجقد تحلب الضجور العلبة»، يضربون ذلك للرجل البخيل الذي لا يزال يُنال منه الشيء القليل. والثِلب: الذي قد انتهى في السن من الإبل.
3. الدِّرّة: العصا. والفَرَق: الخوف.
4. الكشْخان: الديّوث
5. وافقت على طلبك.
6. هو عمر بن داود بن زاذان. وجدّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان. وكان عمر مهندسًا. قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذِق وأتقن. اتّصل بالوليد بن يزيد في أيّام إمارته، فقدّمه وكان يسمّيه (جامع لذّاتي ومُحيي طربي). وقُتل الوليدُ وهو يُغنّيه. (الأغاني 7/65)
7. الصّمد: المُرتفع. والقرار: الوادي.
8. أعدَمَ الرجلُ: افتقر. التفليس: إعلان الإفلاس. الغداة: الصّباح.